الفصل الثانى

علمه

طلب العلم :

تتلمذ الحسن على يدي كبارالصحابة في مسجد الرسول ص مثل: عثمان بن عفان، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر ثم انتقل إلى البصرة مع والديه عندما بلغ أربعة عشر عاماً واستقر فى البصرة مع أسرته وكانت البصرة آنذاك من أكبر قلاع العلم وكان مسجدها العظيم يموج بمن دخلها من كبار الصحابة رضي الله عنهم لاسيما عبد الله بن عباس الذي لازمه الحسن وأخذ عنه التفسير والحديث والقراءات وأخذ عن غيره من الصحابة الفقه واللغة والأدب حتى صار من أعلم أهل زمانه فالتف الناس حوله وذاع صيته وعلت شهرته وأحبه الناس حباً شديداً .

مكانته العلمية وأسبابها:

وكان يتردد على بيوت أمهات المؤمنين كما أنه روى عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري

وعبد الله بن عمر وعبدالله بن العباس، وأنس بن مالك، وجابر بن عبداللهوغيرهم عدد كبير من صحابة رسول الله ص وكان يحدث فيقول أنه أدرك سبعين بدريًا ٠

ثناء العلماء عليه :

وصفه أحد المقربين منه هو خالد بن صفوان فقال: إنه امرؤ سريرته كعلانيته، وقوله كفعله، إذا أمر بمعروف كان أعمل الناس به، وإذا نهى عن منكر كان أترك الناس له، ولقد رأيته مستغنيا عن الناس، زاهدا بما في أيديهم، ورأيت الناس محتاجين إليه، طالبين ما عنده وقال عنه مسلمة بن عبد الملك: كيف يضل قوم فيهم مثل الحسن البصري؟ لقد كان الحسن أعلم أهل عصره، يقول قتادة :ما جمعت علمه إلى أحد العلماء إلا وجدت له فضلا عليه، غير أنه إذا أشكل عليه كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله، وما جالست فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن وكان له مجلسان للعلم: مجلس خاص بمنزله، ومجلس عام في المسجد يتناول فيه الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة وغيرها وكان تلاميذه كثر لقبه عمر بن عبد العزيز بسيد التابعين حيث يقول :لقد وليت قضاء البصرة سيد التابعين أما السيدة عائشة رضى الله عنها عندما سمعته يتكلم قالت من هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين؟

وكان سيد أهل زمانه علماً وعملا قال معتمر بن سليمان : كان أبي يقول الحسن شيخ أهل البصرة وقرأ القرآن على حطان بن عبد الله الرقاشي ، وروى عن خلق من التابعين.

كان رضي الله عنه جامعًا، عالمًا ، فقيهًا ، ثقة ، حجة مأمونًا فصيحًا، ويعد سيد أهل زمانه علمًا وعملاً، وأشدهم فصاحة وبيانًا، وقد برع ـ رحمه الله ـ في الوعظ والتفسير براعة لا تفاق، حتى كان فارس الميدان، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها :

ـ نشأته في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، فقد رضع منها، كما رضع منها علمًا وفقهًا.

ـ قربه من بيوت أمهات المؤمنين ، فكان ذلك داعيًا لأن يتعلم منهنَّ

ـ لزومه حلقة ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ، فقد أخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والقراءات واللغة.

ـولعه بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقد راعه فيه صلابته في الدين وإحسانه في العبادة، وزهده في الدنيا، وقوته في الفصاحة والبيان .

قال يونس عنه كان من رءوس العلماء في الفتن والدماء والفروج.

وقال عوف : ما رأيت رجلا أعلم بطريق الجنة من الحسن وقتا أبو جعفر الرازي : اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله

، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك وقال قتادة : ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء إلا وجدت له فضلا عليه وما جالست فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن

وقال معاذ بن معاذ : قلت للأشعث : قد لقيت عطاء وعندك مسائل ، أفلا سألته ؟ قال : ما لقيت أحدا بعد الحسن إلا صغر في عيني.

وقال أبو هلال : كنت عند قتادة ، فجاء الخبر بموت الحسن ، فقلت لقد غمس في العلم غمسة قال قتادة : بل نبت فيه وتحقبه وتشربه ، والله لا يبغضه إلا حروري.

وقال أنس بن مالك سلوا الحسن ; فإنه حفظ ونسينا وقال أيوب السختياني : كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن المسألة هيبة له.

شيوخه

ولأنه كان متلهفاً على العلم يجمعه كان من الطبيعى ان يكون عدد شيوخه كبيراً كما كانوا أعمدة العلم فى عصره ومنهم أبى بن كعب ، ولم يدركه- أحمر بن جزء السدوسي - الأحنف بن قيس -أسامة بن زيد الكلبي ، على خلاف فيه - الأسود بن سريع - أسيد بن المشمس -أنس بن حكيم الضبي-أنس بن مالك- ثوبان، ولم يلقه- جابر بن عبد الله الأنصاري- جارية بن قدامة التميمي - جندب بن عبد الله البجلي - جندب

الخير الأزدي قاتل الساحر- حريث بن قبيصة- قبيصة بن حريث- أبو ساسان حضين بن المنذر الرقاشي- حطان بن عبد الله الرقاشي- حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان- دغفل بن حنظلة النسابة- الزبير بن العوام- زياد بن رياح- سعد بن عبادة - سعد بن هشام بن عامر الأنصاري-سعد مولى أبي بكر الصديق- سلمة بن المحبق- سمرة بن جندب الفزاري- صعصعة بن معاوية التميمي ، عم الأحنف بن قيس- ضبة بن محصن العنزي- عائذ بن عمرو المزني - عبد الله بن عباس- عبد الله بن عثمان الثقفي-عبد الله بن عمر بن الخطاب-عبد الله بن عمرو بن العاص-أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري-عبد الله بن مغفل المزني-عبد الرحمن بن سمرة القرشي-عتبة بن غزوان-عتي بن ضمرة السعدي-عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وقيل : لم يسمع منه- عثمان بن عفان-عقبة بن عامر الجهني- عقيل بن أبي طالب-علي بن أبي طالب-عمار بن ياسر ولم يسمع منه- عمرو بن تغلب-عمرو بن العاص-عمران بن الحصين-قيس بن عاصم المنقري-قيس بن عباد- مطرف بن عبد الله بن الشخير-معاوية بن أبي سفيان-معقل بن سنان الأشجعي ، وقيل : لم يسمع منه-معقل بن يسار المزني-المغيرة بن شعبة-أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي-النعمان بن بشير-أبي بكرة

نفيع بن الحارث الثقفي-نفيع أبي رافع الصائغ-الهياج بن عمران البرجمي-أبي هريرة، و: قيل لم يسمع منه-ابن المغيرة بن شعبة.

أثر التابعين فيه

كما كان للصحابة أثرًا في تربية الحسن بسبب نشأته بينهم، وتعلمه على أيديهم، وكان لبعض التابعين أثرًا كبيرًا في نفسه: فقد روي أنه كان يقص في الحج فمر به علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال له: يا شيخ، أترضى نفسك للموت؟ قال: لا قال: فلله في أرضه معاد غير هذا البيت، قال: لا قال: فثم دار للعمل غير هذه الدار، قال: لا قال: فعملك للحساب، قال: لا قال: فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال: فما قص الحسن بعدها.

أثره في غيره

إن رجلاً تربى على يد الصحابة وأخذ عنهم وتعلم منهم تجد له آثارًا واضحة في الآخرين، فإياس بن أبي تميمة يقول: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغلة والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناس يقولون: خير الناس، وشر الناس قال: يا أبا فراس، كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني؟ وكم من شيخ مشرك أنت خير منه؟ ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله

قال: إن معها شروطًا فإياك وقذف المحصنة قال: هل من توبة؟ قال: نعم وخرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم أبعد الله من أبعد.

<u>من آراؤه الفقهيه</u>

نذكر بعض المسائل التي تعرِّف ببعض آراء الحسن رحمه الله فمثلاً:

- ذهب رحمه الله إلى أنه لا يجب الترتيب في أعضاء الوضوء، مع أن المذهب الراجح في هذا وجوب الترتيب.

- يرى رحمه الله أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء بحال، ما لم يخرج منه شيء، فمجرد لمس المرأة لا ينقض الوضوء.

- كان يرى وجوب نقض المرأة شعرها عند الغسل من الحيض، وهو قول الحنابلة.

- أن المتيمم يصلي ما شاء من الفرائض والنوافل، ويمس المصحف، ويقرأ القرآن، ما دام أنه لم ينقض هذه الطهارة التي عملها بالتيمم، فما دام أنه لم يحدث فإن تيممه باقٍ صحيح ، ولا يلزمه التيمم لكل صلاة كما قال به بعض أهل العلم.

- يجوز التيمم للصلاة على الجنازة لمن خاف فواتها.

- يُرَش الماء للتطهرمن بول الغلام ويُغْسل من بول الجارية، وهذا مقتضى الحديث الذي صح عن النبي ص.

- أن للرجل السفر قبل دخول وقت الجمعة، فما دام وقت الجمعة لم يدخل بعد فيجوز فالجمعة لا تمنع من السفر كما قال عمر رضي الله عنه.

وذهب إلى كراهة دفن الميت ليلاً، واحتج بالحديث الصحيح الوارد في هذا، وهذا الحديث قد ذكره الإمام مسلم رحمه الله: (أن النبي ص زجر أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك).

- جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر، والراجح في هذه المسألة.

- أن المرضع إذا أفطرت في رمضان خوفاً على ولدها، والحامل إذا أفطرت خوفاً على جنينها فليس عليهما كفارة بل عليهما القضاء فقط، فهما أشبه بالمريض.

- عدم جواز بيع العُربون، والراجح: جواز البيع بالعُربون أى حجز البضاعة بجزء من ثمنهاوإذا ألغى البيع فإن العربون يذهب عليه.

- جواز مشاركة المسلم لليهودي والنصراني، وجواز أن يدخل معهم في شركة أو في تجارة بشرط: ألا يخلو اليهودي أو النصراني بالمال دونه فإذا كانت الإدارة للمسلم أو له الإشراف عليها فإنه لا بأس أن يشارك الكافر في التجارة.

- جواز تأجير المستأجر للعين بأكثر مما استأجر به، فإذا استأجر شيئاً جاز أن يؤجره، وذكر أهل العلم أنه يجوز أن يؤجره ما دامت مدة الإجارة سارية المفعول، وما دام أنه قد ملك المنفعة فيجوز أن يعطيها لغيره ويؤجرها أيضاً، لكن بشرط ألا يكون استعمال الثاني أكثر من الأول، فلو كان -مثلاً- عنده خمسة أولاد، فلا يجوز أن يؤجر البيت الذي استأجره لإنسان له عشرة.

- كان يرى أن الخُلْع يُعَدُّ طلقة، وذهب عدد من أهل العلم إلى أنه يعتبر فسخاً ولا يعتبر طلاقاً.

- ذهب رحمه الله إلى وقوع طلاق السكران، وأن السكران يتحمل الطلاق وهذا رأي جمهور أهل العلم، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وكذا ابن القيم وغيرهما إلى أن طلاق السكران لا يقع، ويوجد طرف بريء في الموضوع هي الزوجة، وهو لا يدري عن تصرفاته.

- في مسألة صيام شهرين متتابعين إذا كان على الإنسان كفارة الظهار -مثلاً- فإن السفر المبيح للفطر لا يقطع التتابع، فلو شرع في صيام شهرين ثم سافر سفراً طبيعياً لم يقصد منه تحايلاً -سافر سفراً مشروعاً- فإنه يفطر في هذا السفر، وإفطاره لا يقطع التتابع.

- أفتى رحمه الله بأن الزوج إذا أعسر بالنفقة كان للزوجة الخيار في أن تصبر عليه أو تطلب من الحاكم التفريق بينها وبين زوجها.

- ذهب إلى أنه لا فرق بين الرجال والنساء في وجوب القتل بالردة، فإذا ارتدت المرأة تقتل مثلما يقتل الرجل وأن الاستتابة مستحبة وليست بواجبة.

- وفي باب الأطعمة: ذهب رحمه الله إلى تحريم أكل لحم القرد وتحريم بيعه فهو مسخ، فيكون من الخبائث المحرمة، وبعض العلماء ذهبوا إلى جواز بيع القرد، قالوا: لأنه يُنْتَفع منه فيُمْسِك الشمعة ويحفظ الأمتعة، ولأنه يقبل التعليم، أي أنه يمكن تدريبه على حراسة وحفظ الأمتعة.

- وفي العقيقة: ذهب إلى وجوبها، وهو الذي روى حديث العقيقة عن سمرة رضي الله عنه، وذهب جمهور أهل العلم إلى استحباب العقيقة وعدم وجوبها.

- ذهب إلى عدم وجوب الكفارة في اليمين الغموس إذا حلف يميناً كاذبةً غموساً، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار، فإنه ليس عليه كفارة لأنها أعظم من أن تكفر، وليس لها إلا التوبة، وذهب بعض أهل العلم كالشافعي رحمه الله إلى أنه تجري الكفارة حتى في اليمين الغموس إذا حلف كاذباً.

- رأى جواز إخراج الكفارة قبل الحلف باليمين، يعني: إذا أراد أن يحنث في يمينه، حلف على شيء وأراد أن يخالفه فإنه يجوز له أن يكفر قبل أن يحنث، وفعله صحيح.

- كان يرى أن المريض الذي عنده الماء ولا يجد من يناوله الماء - يتيمم.

وقال الحسن فيمن مات وعليه صوم: [إن صام عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً جاز]، كل واحد من الثلاثين رجلاً يصوم يوماً واحداً عن شخص عليه قضاء من رمضان ومات ولم يقضه، أنه يجوز ذلك.

وأيضاً من فتاويه، قال: [من تكفَّل عن ميتٍ دَيناً فليس له أن يرجع]، فإذا مات شخص وعليه دين، فقال رجل من الناس الأحياء: أنا عليَّ دينه، أو أنا أتكفل بدينه؛ فليس له أن يتراجع بعد ذلك ويُلْزَم بوفاء الدَّين.

مقاومته للشرك بأنواعه

كان ممن يقاوم الشرك الأصغر والأكبر بأنواعه، حتى قال رجل من بني مجاشع: جاء الحسن في دم كان فينا، فخطبهم فأجابه رجل، فقال: قد تركتُ ذلك لله ولوجوهكم هناك قضية دماء، الحسن أراد أن يصلح فيها، فيجعل أهل المقتول يتنازلون، فجاء رجل من أهل المقتول، قال: قد تركت ذلك لله ولوجوهكم - يعني: من أجل الله ومن أجلكم- فقال الحسن: لا تقل هكذا، بل قل: لله ثم لوجوهكم، وآجرك الله أثابك الله

على تنازلك، ولكن لا تسوِّنا بالله، تقول: تركتها لله ولكم، لا يصلح أن تسوي بيننا وبين الله، قل: لله، ثم لكم.

وهذا كثير، مثل أن تقول: لولا الله ثم فلان، لا تقول: لولا الله وفلان، فهي شرك، بل لولا الله ثم فلان، لا تجعل الخالق والمخلوق بمنزلة واحدة، وتعطف هذا على هذا.

موقفه من المبتدعة

كان رحمه الله مقاوماً للبدعة، ومعلوم أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة كان من تلاميذ الحسن إلى أن حدثت حادثة جعلت واصل بن عطاء يخرج بفكرة الاعتزال، ويعتزل مجلس الحسن البصري، وبدأت تلك البدعة.

كان واصل بن عطاء في أول أمره يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقال أهل السنة والجماعة بإيمانهم،أي أن معهم أصل الإيمان فهم مسلمون، ولكن مرتكبها فاسق فاجر، فلا يُحكم بكفر شخص إذا كان معه أصل الإيمان، وكان ما فعله كبيرة لا تصل إلى الكفر والشرك الأكبر؛ فلمَّا حصل هذا خرج واصل عن الفريقين، وقال بالمنزلة بين المنزلتين.

فأهل السنة والجماعة يقولون: حكم مرتكب الكبيرة فاسق، لكنه باقٍ على إسلامه، لأن معه أصل الإيمان وقالت الخوارج: مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار. فلم يفرقوا بينه وبين الكافر.

والمعتزلة خرجوا بعد ذلك، وقالوا: مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين: لا هو مؤمن ولا كافر، وهذه بدعة، ما هو هذا الشيء؟! لا يوجد شيء لا مسلم ولا كافر! لا في الجنة ولا في النار!ولما قال واصل بن عطاء هذه البدعة طرَدَه الحسن من مجلسه، فاعتزل عنه ثم تبعه عمرو بن عبيد، وعمرو بن عبيد كان مشهوراً بالزهد، وكان وكان... حتى قال الخليفة: كلكم يطلب الصيد إلا عمرو بن عبيد لكن عمرو بن عبيد ذهب مع المعتزلة ،فصار في هذه البدعة الخبيثة وعليه تأسس مذهب المعتزلة من هذه البذور الفاسدة.

سُمُّوا هم وجماعتُهم بـالمعتزلة ، وأطلق عليهم أهل السنة هذا اللقب لأنهم اعتزلوا أولاً مجلس الحسن البصري وهو إمام من أئمة أهل السنة والحسن رحمه الله تعالى لا شك أنه من أهل السنة والجماعة ، وأقواله في هذا موافقة لأقوال أهل السنة والجماعة في الأبواب المختلفة؛ في الأسماء والصفات، وأن الإيمان قول وعمل، والموقف من الصحابة وغير ذلك؛ لكن لعله رحمه الله صدرت منه كلمة في وقت

من الأوقات حُسِبَت على مذهب القدَرية ؛ لكنه بعد ذلك بيَّن الأمر وتراجع عن ذلك، ولا يمكن أن يقال أبداً: إنه من القدَرية ، ويمكن إذا وجد أثناء القراءة في الموضوع كلاماً يعرف الإنسان خلفية الموضوع؛ فلعل عبارة صدرت من الحسن رحمه الله فُهِمَ منها أن الشر ليس بقدَر وأن الخير هو الذي بقدَر فقط.

اهتمامه باللغة العربية

كان رحمه الله يهتم باللغة العربية ويقاوم اللحن، واللحن: هو الخطأ في الكلام:

جاء رجل إليه فقال: يا أبا سعيد ! ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ والصحيح أن يقول: وترك أباه وأخاه- فقال الحسن : ترك أباه وأخاه -يصحح له اللغة في السؤال- فقال له -هذا السائل وكان فيه غفلة-: فما لأباه وأخاه؟ -الآن السائل جاء بحرف الجر وأخطأ ثانية والصحيح أن يقول: فما لأبيه وأخيه- فقال له الحسن : إنما هو فما لأبيه وأخيه؟ قال الرجل: يا أبا سعيد ما أشد خلافك علي! -لا بد أن تخالفني، مرة أقول لك: أباك وتقول لي: أبيك، ومرة أقول وأرجع إلى

قولك، فتعيب عليَّ أيضاً- قال: أنت أشد خلافاً عليَّ، أدعوك إلى الصواب وتدعوني إلى الخطأ!

وكان في ذلك الوقت أناس قد دخلوا من الأعاجم في الإسلام وأولاد الإماء، فصار هناك لحن في اللغة؛ لأن هناك أناساً أمهاتهم فارسيات ومن الأعاجم فحدث لحن، واللحن كثير في الكلام، تغيرت اللغة في ألسنة كثير من الناس، فكان الحسن يقاوم ذلك.

قال رجل للحسن : يا أبي سعيد ! فقال الحسن: أكَسَبْ الدوانيق شغلك عن أن تقول: يا أبا سعيد هل البيع والشراء أشغلك عن تعلم اللغة، صرت لا تعرف أن تقول للمنادى المنصوب: يا أبا سعيد ؟!.

وقرع رجل على الحسن البصري الباب، وقال: يا أبو سعيد ! فلم يجبه، فقال: يا أبي سعيد ، فقال الحسن: قل الثالثة وادخل ما دام قال: يا أبو، ويا أبي، بقيت واحدة وهي الصحيحة، فقال الحسن: قل الثالثة وادخل.

الخلافة انتهت بالراشدين

وكان يرى أن الخلافة انتهت بانتهاء عهد الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأن معاوية اغتصبها وأنه ليس في بني أميه

عادل إلا عمر بن عبد العزيز الذي كتب الحسن البصري إليه رسالة في صفة الإمام العادل جاء فيها أعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف وإنصاف كل مظلوم ومفرغ كل ملهوف ٠

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ما له وعياله فبدد المال وشرد العباد فأفقر أهله وفرق ماله لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ٠